جامعة خميس مليانة

قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة السداسي الثاني - العام الدراسي 2026/2025

المستوى: السنة الأولى ماستر – تخصص: فلسفة تطبيقية

المقياس: مصادر فلسفية **- أستاذ المادة**: د/ حميد مخوخ

المحاضرة الثالثة: فلسفة غدامير من خلال كتابه " الحقيقة والمنهج"

الأهداف التعليمية: تمكين الطلبة من التعرف على فلسفة غدامير من خلال كتابه "الحقيقة والمنهج " وأيضا تعلم تحليل أفكار الفيلسوف من مصادره المباشرة

1- نبذة عن حياة غدامير وأعماله الفكرية: هو هانز جورج غادامير Hans-Georg Gadamer :فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ في الأول من فبراير 1900م، اشتهر بكتابه الشهير "الحقيقة والمنهج" وأيضا بتجديده في نظرية تفسيرية للهيرمينوطيقا، توفي في هايدلبرغ في 13 مارس 2002.

2- تحليل أفكار غدامير من خلال كتابه " الحقيقة والمنهج": كان السياق الذي ظهر فيه كتابه " الحقيقة والمنهج" هو سياق الصراع بين المناهج في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في عصر ساد فيه المنهج التجريبي العلمي، في جميع مجالات المعرفة العلمية، واعتباره بذلك المنهج الأهم والضروري لكل معرفة تسعى إلى أن تصبح علما تجريبيا ينحو نحو الدقة والموضوعية، ومقياسا للحقيقة الموضوعية، والأداة الضرورية للتحرر من المعرفة المجردة، ومن ثم أصبحت المناهج الأخرى في العلوم الإنسانية ينظر لها بشيء من الاحتقار، بوصفها لا علمية ولا تؤدي إلى الحقيقة. وبناء على ذلك يمكن اعتبار كتاب "الحقيقة والمنهج" محاولة من "غدامير" الدخول في هذا الجدل الابستيمولوجي ومتابعة استمرار الخط الهرمينوطيقي الممتد حديثا من شليرماخر ودلتاي وهيدغر. وهذا الكتاب ألفه غدامير على فترات طويلة من الزمن، ليس ليخرجه في صيغته النهائية ولكن يبدو أنه ليست هناك صيغة نهائية، فغدامير ظل سنين طويلة في كتابة كتابه العمدة هذا، يتأنى في بلورة فكره ويتأنى في إعلامه.

وبعد أن أعلنه1960 ظل يعمل ويواصل العمل على هذا الكتاب في أكثر من مناسبة، كان غدامير يزيد في صقل كتابه مكملاً وملحقاً، وشارحاً، ومستدركاً، ويوضح ما غمض، ويفصل حيث أجمل، ويزيد على الكتاب ما عن له من جديد، ويضيف إليه مساجلات جديدة، يقول كل من "جول فاينشايمر" و"دونالد مارشال" باعتبارهما مترجمان كتاب "الحقيقة والمنهج" من الألمانية للإنجليزية: "كتاب الحقيقة والمنهج واحد من أهم كتابين أو ثلاثة في هذا القرن عن الفلسفة والدراسات الإنسانية. الكتاب خطير ومثير، ولكنه صعب بالتأكيد. نشر الكتاب وغدامير في الستين من عمره فجنى الثمرة الناضجة للقراءات والتعليم والتفكير."

كتاب "الحقيقية والمنهج" جاء ليبحث في علاقة الحقيقة بالمنهج ويطرح الإشكالية التالية: هل المنهج هو الطريق الضروري إلى الحقيقة كما تؤكد العلوم الطبيعية أم أن هناك طريقا أو طرقا غيره تمكن من بلوغ الحقيقة؟

كتاب "الحقيقة والمنهج" هو النص التأسيسي لـ "الهيرمينوطيقا الفلسفية" (علم التأويل) حيث يرفض غدامير من خلال هذا الكتاب اختزال الحقيقة في المنهج العلمي، مدافعاً عن أن الفهم بعبر عن حقيقة وجودية تاريخية

تتحقق عبر الحوار واللغة، وليس مجرد خطوات منهجية، متجاوزاً بذلك العلوم الطبيعية إلى فهم الخبرة الإنسانية (الفن، التاريخ، اللغة)

يرى غدامير أن العلوم الإنسانية لا يمكنها تبني مناهج العلوم الطبيعية التجريبية للوصول إلى الحقيقة، لأن الحقيقة في العلوم الإنسانية تتم عبر "التأويل" الذي ينبع من الذات وتجربتها، ومن ثم لا يرى غدامير التأويل كقواعد أو تقنيات(Méthodologie) ، بل كأنطولوجيا (وجود) أي أن الفهم هو نمط وجود الإنسان في العالم، وبذلك شدد على أن الفهم دائماً تاريخي، وأن المؤول محكوم بـ "أحكام مسبقة (Préjudices) "ضرورية للفهم، لا يجب التخلص منها، بل وعيها. فعملية الفهم تحدث عند تلاقي أفق النص (السياق التاريخي) مع أفق القارئ (الحاضر)، واللغة هي الوسيط الذي يحدث فيه الفهم، والحوار هو الآلية التي تتقارب بها الآفاق .

لذلك فمن خلال كتابه هذا أراد غدامير القضاء على دوغمائية (اعتقاد راسخ) ارتباط الحقيقة بالمنهج بالضرورة، هذا العنوان في الحقيقة ينطوي على فكرة انفصال الحقيقة عن المنهج وليس ضرورة ارتباط الحقيقة بالمنهج. فالمنهج عند غدامير ليس هو الطريق إلى الحقيقة بالضرورة، لأن المنهج حسبه هو "شيء ينبع من الذات ليوصل إلى نتيجة، هذه النتيجة لا تعني الحقيقة أبدا كما هو الحال في العلوم الطبيعية".

إن مشروع غدامير الفلسفي من خلال هذا الكتاب بمجمله، ينبع من شك موجه نحو الاستغراق الكلي لفكرة المنهج، التي فُهمت كسبيل أوحد للولوج إلى الحقيقة، فلم يجد غدامير ضرورة في أن تكون الحقيقة مرهونة بالمنهج، وهذا ما يتجلى في ميدان الفن باعتباره من أخصب المجالات التي ينكشف فيها هذا النوع من الحقيقة، لأنه خبرة يقال لنا فيها شيء ما يقتضي الفهم والتفسير، لهذا كان الفن نقطة الانطلاق الكبرى لكتابه هذا، كون الفن يقدم لنا مثالاً خصباً للحقيقة، أو نموذجاً للكشف عنها. وبهذا المعنى يمكن القول بأن هناك قرابة بين خبرة الفن والخبرة الهرمنيوطيقة(أي الخبرة التأويلية)، لذلك ارتكز مسعاه على إعادة تحليل المنهجيات الجمالية في الفن، ثم في العلوم الإنسانية التي كان يسميها علوم الفكر، ثم في اللغويات والفعاليات اللغوية.

ما يريد غدامير الوصول إليه هو القول بأن الطريقة أو المنهج لا أهمية له في حدوث عملية الفهم، مع أنه لا ينكر إمكانية الاستفادة من المنهج في العلوم التجريبية، بينما ينفي إمكان الوصول إلى الحقيقة في جلّ القضايا والظواهر الفنية والتاريخية عن طريقه. بمعنى أنه ينفي إمكانية وضع قواعد معينة لعملية التأويل أو التفسير. فعمليات الفهم في العلوم الإنسانية تتجاوز المنهج، كونه لا يوصلنا إلا إلى الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها، انطلاقاً من كون عملية التأويل ليست سوى حوار وتفاعل بين المؤول والنص، وبالتالي فإن الفهم ليس سوى نتيجة حاصلة لهذا الحوار، ويحدث عند التوافق بين المؤول والنص، حيث تنصهر التجربتان في ناتج جديد، يُعبّر عنه بالمعرفة الحاصلة باندماج الأفق الفكري للمؤول وأفق معنى العمل الفني أو النصي.

يتكون كتاب "الحقيقة والمنهج " لغدامير من مقدمة للترجمة العربية والأخرى للترجمة الإنجليزية؛ الكتاب مترجم من الألمانية إلى الإنجليزية من طرف كل من "جول فاينشايمر ودونالد مارشال"، ومقدمة وتوطئة للطبعة الألمانية الثانية، كما يتكون من ثلاثة أبواب كبرى.

ففي الباب الأول يعرض غدامير سؤال الحقيقة في تجربة الفن يبدأ الفصل الأول منه بتعالي البعد الجمالي، فالمبحث الأول منه يتحدث عن أهمية التراث الإنسانوي للعلوم الإنسانية، حيث يقدم غادامير نقدا للوعي الجمالي تحت عنوان "تعالي البعد الجمالي"، ليخرجه من الذاتوية التي سيطرت على مناهج الفهم الجمالي، وبعد تناوله مشكلة المنهج ينتقل إلى مراجعة المفاهيم الموجِّهة للنزعة الإنسانية، لاسيما مفهوم الثقافة، الحس المشترك، الحكم، الذوق...)، ثم يقدم في المبحث الثاني "إضفاء طابع ذاتي على علم الجمال من خلال النقد الكانطي"، بمناقشة مستفيضة لكانط وكتابة نقد ملكة الحكم، ومذهبه في العبقرية والذوق والجمال والخبرة والأمثولة،

والمبحث الثالث إحياء "سؤال الحقيقة الفنية"، يطرح فيه مفهوم الثقافة الفنية والنقد التجريدي المتأصل في الوعي الجمالي.

أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد كان حول "أنطولوجيا العمل الفني ودلالتها التأويلية"، قسمه إلى ثلاث مباحث. فالمبحث الاول حول " اللعب مفتاحا للتفسير الأنطولوجي" إذ من أهم المفاهيم التي استخدمها غدامير في بناء التجربة مع الحقيقية مفهوم "اللعبة"، يقول "جاسبر" في هذا السياق: "يقدم غدامير مبدأ اللعبة كركيزة أساسية في بناء التجربة مع الحقيقة. ورغم صعوبة نقاشاته إلا أنه بإمكاننا تكثيفها في ثلاث نقاط مفهومة ومبسّطة. فكّر في أي لعبة كنت تمارسها حين كنت طفلا أو عضوا في فريق الجامعة، أولا: يكتمل الغرض من اللعبة حين تخسر (تندمج) بالكامل في اللعبة. على اللعبة أن تصبح عالما. ثانيا: لكي تكون اللعبة مؤثرة لا بد أن تؤخذ بجدية كاملة. نعلم جميعا كيف تكون اللعبة حين لا يلعب أحد اللاعبين بجدية. إنه يسحب كل المرح الحقيقي المأمول منها . ثالثا: نكون أثناء لعبنا وفق أصول اللعبة مستوعَبين بالكامل فيها. ويمكن أن تصبح اللعبة بالنسبة لنا فضاء استكشاف. حيث ندرك ونتعلم شيئا جديدا أو نراه بطريقة جديدة". فقراءة كتاب مثلا أو التفاعل مع عمل فني يخضع لنفس قوانين اللعبة. هذه هي الفكرة. إنها دعوة للدخول في عالم النص والاندماج فيه، لتحصل على إشعاع الحقيقة المنبثقة منه. أما في المبحث الثاني فقد تحدث عن "النتائج الجمالية والتأويلية" وابتدأه بالتكافؤ الأنطولوجي للصورة، ثم الأساس الأنطولوجي للمناسبي والتزييني، وموقع الأدب، وإعادة البناء والتكامل مهمتين تأويليتين.

وفي الباب الثاني: توسيع سؤال الحقيقة إلى الفهم في العلوم الإنسانية حيث قام يقوم غدامير بقراءة نقدية لتاريخ التأويلية، ومن ثم كان الفصل الأول هو توطئة تاريخية، عرض فيها التأويل من ما قبل التأويلية الرومانسية، ابتداء من تأويل النصوص المقدسة والأساطير في العصور المتقدمة إلى عصر التنوير والرومانسية، وبشكل مكثف لرائدي التأويلية شليرماخر ومشروعه "التأويلية الكلية"، ودلتاي وتورطه في مآزق النزعة التاريخية، وصولا إلى أساتذته هوسرل ومفهوم الحياة لديه، وهيدغر ومشروعه الظاهراتية التأويلية. أما الفصل الثاني من الباب الثاني تحت عنوان "عناصر لنظرية عن التجربة التأويلية"، يرى غدامير من خلال ذلك أن التأويلية تدين للوعي التاريخي ببقائها في مركز العلوم الإنسانية. والوعي التاريخي هو من أهم المفاهيم التي يستند عليها غدامير لدرجة أن تأويليته أصبحت تسمى التأويلية التاريخية. ينتقد غدامير التاريخية الساذجة التي ترى أنه يمكن الوصول إلى معنى التراث إذا عدنا إلى عصره ومفاهيمه، وانقطعنا عن واقعنا، وتجردنا من أحكامنا السابقة في محاولة يائسة لحصول على حكم "موضوعي" عن التاريخ. هنا نقد أساسي لشليرماخر ودلتاي. ولكن غدامير يتساءل في نفس الوقت: هل الوعي التاريخي قادر على ملء المكان الذي أخلته المعرفة المطلقة "الدوغمائية"؟ هو يعني بالدوغمائية هنا المناهج العلمية والمناهج التاريخية الساذجة(أي الاعتقاد الساذج بإمكانية المناهج العلمية والمناهج التاريخية الوصول إلى المعرفة المطلقة).

وقد جاء المبحث الأول لهذا الفصل حول "رفع تاريخية الفهم إلى منزلة مبدأ تأويلي" ويمكن تتبعها انطلاقا من مسألة الحكم المسبق ومنه نستنتج محموعة من النتائج. فالنتيجة الأولى تعني أن هناك العديد من المناهج التي تطالب الباحث بالتخلص من حاضره حين يقرأ التاريخ خشية الإسقاط عليه، لكن الواقع يقول أننا لا يمكن أن نغادر الحاضر لنذهب إلى الماضي، وأن معنى أي عمل من الماضي لا يمكن أن نراه في حدود ذاته فحسب بل على العكس، فمعنى العمل الماضي إنما يتحدد في ضوء الأسئلة التي توجه إليه من الحاضر. أما النتيجة الثانية لمفهوم تاريخية الوعي فهي مسألة مفهوم المسافة الزمانية ويعني ذلك أن التوتر القائم بين الحاضر والماضي هو عمل محوري في الهرمونيطيقا، ولذلك فهي معنيّة بتبيان الشروط التي يمكن في ظلّها أن يحدث

الفهم، وهنا تبدو المسافة الزمنية التي تفصلنا عن التراث مهمة ومساعدة وعلى الفهم. والنتيجة الثالثة لتاريخية الوعي هي فهم مؤلف النص، وتعني أن مهمة الهرمونيطيقا تنحصر بالدرجة الأساسية في فهم النص لا فهم المؤلف. إن النص يتم فهمه لا لأن هناك علاقة بين أشخاص بل لأن هناك مشاركة في موضوع الحديث الذي يوصله النص. يؤكد غدامير على أنه لا ذاتية المؤلف ولا ذاتية القارئ هي النقطة المرجعية للحقيقية، وإنما النقطة المرجعية هي المعنى التاريخي نفسه بالنسبة لنا في الزمن الحاضر. والنتيجة الرابعة هي إعادة بناء الماضي، وتعني أن إعادة تشييد العالم الخاص بالعمل الفني هي المهمة الأولى للفهم، ولا يعني غدامير هنا إعادة تشييد السياق التاريخي الذي وجد فيه النص فقط، بل يعني دمجه في الحاضر وجعله قادرا على الإجابة على أسئلة الحاضر. والنتيجة الخامسة لتاريخية الوعي هي أهمية التطبيق، وهنا يؤكد غدامير على جانب مهم طالما أهملته الهرمنيوطيقا التاريخية والأدبية. والتطبيق معناه ربط معنى النص بالعصر الحاضر كما يحدث في تطبيق النصوص القانونية والدينية، وهنا يصبح التأويل يتضمن ثلاثة جوانب هي: الفهم والشرح والتطبيق، لا كمناهج منفصلة بل تشير جميعها إلى قدرة واحدة تتطلب رهافة معيّنة للروح، وهي تشكل مجتمعة تحقق الفهم واكتماله، إضافة إلى ذلك يتحدث في المبحث الثاني من هذا الفصل عن تغطية المشكلة التأويلية الأساسية والتي يعرض فيها أهمية أرسطو تأويليا، وفي المبحث الثالث يتحدث عن حدود الوعي المتأثر تاريخيا والذي يعرض فيه نموذج الجدل الأفلاطوني.

أما الباب الثالث والأخير فهو حول التحول الأنطولوجي للتأويلية الذي توجهه اللغة، وجاء في مباحثه الثلاث تحليلا للغة باعتبارها وسيطا للتجربة التأويلية، ففي المبحث الأول يتحدث عن اللغة كونها تحديدا للموضوع التأويلي وصولا إلى كونها تحديدا للفعل التأويلي، وفي المبحث الثاني يتحدث عن تطور اللغة في تاريخ الفكر الغربي، من اللغة واللوغس عند اليونان، واللغة والكلمة عند اللاهوت إلى اللغة وصياغة المفهوم، أما المبحث الثالث والأخير فقد جاء فيه "اللغة أفقا لأنطولوجيا تأويلية" تحدث فيه عن اللغة كتجربة للعالم، واللغة وسيطا وبنيتها الفكرية، وأخيرا الجانب الكلي للتأويلية.

لننتقل بعد ذلك إلى الملاحق الستة والتكملتان الأولى التأويلية والنزعة التاريخية، والثانية إلى أي مدى تشكل اللغة فكرا؟ لنجد بعد ذلك خاتمة الكتاب، يليها ثبت المصطلحات المهمة وثبت الأعلام.

وهكذا أمكن القول إن غدامير عمل في مشروعه الفلسفي على تجاوز التصورات التي بنيت حول التأويل ابتداء من أرسطو وصولاً إلى فرسان التأويل في العصر الحديث مع شليرماخر ودلتاي وهيدغر, ليبرز أن في اللغة ذاتها وبها يمكن الاشتغال على أسس وأصل كل شيء، ومساءلة كل الحقائق والمعارف المؤسسة لجماليات الفنون ولمعقولية كلّ خطاب ومنهج، سواء في العلوم الإنسانية أو في العلوم الطبيعية أو في مجال النقد الأدبي, وذلك من خلال التأويل كفلسفة جديدة في الفهم والمعرفة أو كمنهج تراجع في ضوئه مشروعية المناهج الأخرى ويقف أمام تشتت موضوعات المعرفة وتشظي الحقيقة، التي وضعها غدامير في مقابل المنهج، وجعل من (الحوار) مدارا مركزياً للصراع بينهما، وذلك من خلال مجالات ثلاثة رئيسية:

- المجال الجمالي ويتعلق بالأعمال الفنية.
- المجال التاريخي ويتعلق بالرصيد الماضي في المعارف والفلسفة والأديان والآداب وفي التجارب الاجتماعية.
- المجال اللغوي ويتعلق بالعلاقات والمعاني والدلالات.

وقد كان صدى نظرية غدامير في فلسفة التأويل والفهم في مؤلفه هذا كبيراً وفاعلاً، حيث شغل مدارس النقد الأدبي وتيارات البحث في جماليات الفنون، وكذلك أثرت فلسفة غدامير في الفلسفات النظرية المعاصرة

وخاصة في بول ريكو (ولد سنة 1913)، الذي وإن اختلف معه في إدماج بعد السلطة في عملية الفهم إلا أنه تأثر به في بلورة نظريته في التأويل والقراءة.